أثر المعتقدات الدينية الرافدينية في المعتقدات الدينية الإيرانية القديمة

عقائد الخِصب أنموذجاً

أ.م.د سعد عبود سمار / جامعة واسط / كلية التربية / قسم التاريخ

المقدمة :

تهدف هذه الدراسة لتجذير ظاهرة المثاقفة في الشرق الأدنى القديم ؛ وذلك من خلال عرض أنموذجاً ، يتمثل في دراسة عقائد الخصب في حضارتين من حضارات الشرق ، وبيان أوجه التأثر والتماثل بينهما ، ومسببات ذلك . وإن أولى هاتين الحضارتين، هي : حضارة بلاد الرافدين ، التي أمتد تأثير معتقداتها الدينية إلى الشرق الأدنى القديم كافة ، والثانية : الحضارة الإيرانية القديمة .

والذي شجّعنا للخوضِ في هذا الموضوع ، هي إشارات الكُتّاب الإيرانيين إلى هذا التأثر ، إلا أنهم لم يسبروا غور تلك التأثيرات بين الحضارتين (الرافدينية ، والإيرانية) . ويُعد الباحث الإيراني (مهرداد بهار) ، أول من لفت أنظار المحققين الإيرانيين إلى أهمية دراسة حضارات آسيا الغربية ، ولاسيما بلاد الرافدين ، وما أنتجته من معارف وأساطير ، وأثرها في المعتقدات والأساطير الإيرانية القديمة ، وأعتَقَدَ أن أكثر من خمسين بالمائة ، من الأساطير والمعتقدات الإيرانية ، مستمدة من أساطير ومعتقدات آسيا الغربية ، ومن أجل فهم العقائد والمنظومة الإيرانية ، لا بد من الرجوع إلى المعتقدات الدينية اللاهوتية لبلاد الرافدين ، وذلك لتأثرها الكبير بتلك الحضارة العريقة في القدم [1] . ويذهب الباحث الإيراني(حسن بيرينا) أبعد في مدى التأثر وأسبابه بين الحضارتين الرافدينية والإيرانية بقوله : " حينما قَدَمَ آريو إيران إلى إيران ، كانوا أقل حضارة من جيرانهم البابليين والآشوريين ؛ فاقتبسوا منهم ... أشياء كثيرة " [2] . وما يؤكد ذلك ما نلمسه في تشابه ثنائية الآلهة الخصب في غرب أسيا (عشتار - تموز) في بلاد الرافدين ، و(عنات – بعل) عند الكنعانيين ، و (سيبل – آتيس) عند الحثيين ، مع ثنائية الآلهة في إيران القديمة (اناهيد – ميثرا أو مهر وفيما بعد سياوش) .

وسيتناول البحث بإيجاز أثر عدد من المعتقدات الدينية الرافدينية في المعتقدات الإيرانية القديمة بشكل عام ، ومن ثم تأثير المعتقدات الدينية الرافدينية في عقائد الخُصب الإيرانية القديمة .

أوجه من التأثير الرافديني في المعتقدات الدينية الإيرانية :

قبل الولوج في الحديث عن التماثل في بعض عقائد الخصب في المعتقدات الدينية الرافدينية والإيرانية القديمة ، لابد من رسم إطاراً عاماً مقبولاً للمتماثلات من العقائد الدينية لكلا الطرفين ؛ لكي لا يكون التماثل في عقائد الخصب ، خارج هذا الإطار العام .

---

[1] – جستاری در فرهنك إيراني ، ص 212.

[2] – تاريخ إيران القديم ، ص21.

يرى الباحث الإيراني (مهرداد بهار) ، أن اعتقاد الإيرانيين بـ (اهوارمزدا) واقع تحت تأثير المعتقدات التي كانت رائجة في آسيا الغربية [1] . وهذا يؤكد ما ذهب إليه الباحث(مورتكات) بأن هناك جسراً يربط ديانة المملكة الأخمينية (558- 330ق.م) ، وبين عقيدة الخلود الغرب آسيوية ، ويمتد هذا الجسر عبر صراع الآلهة مع قوى العالم السفلي والصراع بين النور والظلمة ، الذي يعرفه الشرق القديم ، كما تعرفه الزرادشتية ، الصراع بين إله الخير (اهوارمزدا) وإله الشر (اهريمان) ، ولم تكن هذه الثنائية إنجاز إيراني خاص ، وإنما هو صراع بين الآلهة والفوضى ، عدّه الأشوريين ومن قبلهم الأكديين والبابليين ، نزاعاً بين الخير والشر [2] .

ويؤكد تأثر الأخميّنيين بـ (الآشوريين)، حينما اقتبسوا رمز الإله آشور ، الشمس المجنحة مع الجزء العلوي من جسم الإنسان ، وأصبح رمزا للإله (اهوارمزدا) [3]. مع بعض الاختلافات ، إذ في الرمز الآشوري يكون المحارب في داخل قرص الشمس[4]. ووظف هذا الرمز في الجانب السياسي ، تمثل بتخليد الملوك الأخميّنين لأنفسهم بإشكالٍ فنيةٍ ، ففي نقش فني محفوظ في المتحف البريطاني يعود للملك (داريوس الأول 522 - 486ق . م) ، وهو يطلق سهمه من قوسه في عربة صيد على سبع ، كأسلافه الآشوريين ، وترفرف فوقه الشمس المجنحة مع الجزء العلوي من جسم الإنسان ، الذي يفهم من ذلك أنه رمز الإله هوارمزد[5] . وكثير هي المشاهد الأخمينية للملك (داريوس الأول 522- 486ق.م) تحت الشمس المجنحة ، كما فعل الملك آشور– ناصر بال (883 – 859 ق.م)[6] . والأكثر من ذلك أخذ الأخمينيون فكرة الثور المجنح ذا الرأس البشري من الآشوريين . وأن وضعهم لتماثيله عند مدخل القصر في (پرسوبوليس) [7] ، دلالة عن قناعتهم بأنها تمثل الأرواح الحارسة والطاردة للشرور ، كما أعتقد بها الآشوريون [8].

ويبدو أن التداخل الديني بين عقائد بلاد الرافدين ، والعقائد الدينية الإيرانية ولاسيما في العصر الأخميني وتحديداً بعد سقوط بابل علي يد كورش الأكبر سنة (539ق.م) ، وكذلك تسامح الأخمينيون في ممارسة سكان البلدان المفتوحة لدياناتهم ، فضلا عن محاولة رجال الدين الأخمينيين

[1] – جستارى در فرهنك إيراني ، ص 212.

[2] – تموز عقيدة الخلود والتقمص في فّن الشرق القديم ، ص 290–291.

[3] – ينظر: شكل رقم (1) ، وشكل رقم (2).

[4] – ينظر: فوزي رشيد ، المعتقدات الدينية ، فصل ضمن كتاب حضارة العراق ، ج1، 164.

[5] – مورتكات ، تموز ، ص 292.

[6] – المصدر نفسه ، ص 293.

[7] – وهي المدينة المقدسة في التاريخ الساساني ، وقد خلفتها مدينة اصطخر الحصينة المسورة ، ينظر : كرستنسن ، إيران في عهد الساسانيين ، ص 80.

[8] – سامي سعيد الأحمد، الحضارة العراقية في الأديان والمعتقدات الأصالة والتأثير، ص 147.

للتوفيق مع الديانة السائدة في بلاد بابل ، ذلك كله ألقى بظلالهِ على المعتقداتِ الدينيةِ الإيرانيةِ القديمةِ . والدال على ذلك ، ما تمثل بتأثر الاعتقاد السائد عن الديانة المثرائية (المهرية) ، بالإله البابلي(شمش) ، فكان الآله (ميثرا) الذي ورد في كتاب الزرادشتين المقدس (إفستا) ، بأنه إله العهود والمواثيق ؛ فنتيجة لتأثيرات الديانة البابلية ، أصبح (ميثرا أو مهر) إله الشمس ، ويحمل وظائف وصفات الإله (شمش) البابلي [1] .

وقد ذهب أحد الباحثين بالقول ، على أن هناك فقرات من كتاب زرادشت المقدس (إفستا) هي من أصل بابلي ، كالفقرات التي تصف الدنيا على ست مراحل هي : السموات ، والهواء ، والأرض ، والنبات ، والحيوان ، والإنسان ،وتسلسل البشر من أبوين، وإنشاء جنة على الأرض ، وغضب الخالق على خلقه ، وتسليط الطوفان عليهم [2] .

واستمر تأثير المعتقدات الدينية الرافدينية في المعتقدات الدينية الساسانية ؛ فيرد ذكر لشيطان يُطلق عليه أسم (دروج) ، يُعدّونه التجسيم الأنثوي للشرّ ، والذي تمّتد جميع أعمال إله الشر (اهريمان) الشريرة إليه ، وأن تماثل (دروج) مع (تيامة) التي قتلها الإله (مردوخ) في قصة الخليقة البابلية ، يؤكد التأثير الرافديني في الاعتقاد بها . وهي تتماثل مع أسطورة تدور أحداثها عن قتل (أردشير الأول) مؤسس الدولة الساسانية للتنين الذي يماثل قتل (مردوخ) إلى (تيامة) [3] .

ولم يقتصر تأثير الديانة الرافدينية في ديانة ومعتقدات آري إيران ، وإنما نلمس هذا التأثير في المعتقدات الدينية لسكان جنوب غرب إيران(العيلاميين) [4]، بدلالة ما تحمله بعض الآلهة العيلامية من أسماء عراقية قديمة ، فأهم إله عيلامي (نين – شوشيناك) ، يحمل أسماً سومرياً ، معناه باللغة السومرية (سيد الشوش) ، و ظهرت في العصر البابلي القديم (2006- 1595ق.م) في بلاد عيلام الربة (ايشمة كاراب) ، وهي ذات أسم أكدي معناه باللغة الاكدية (التي تسمع الدعاء) ، مما يشير إلى مؤثرات رافدينية قوية[5] . وهناك تقسيم لثالوث إلهي في المعتقدات الدينية العيلامية ، وهي الآلهة (هومبن، وكيريريشه ، و نين شوشيناك) ، على غرار بلاد الرافدين [6] . كما أن مبدأ التفريد الذي اتسمت به ديانة بلاد الرافدين في العهد البابلي ، نجد صداه في بلاد عيلام ، إذ إن (نين – شوشيناك) يُعدّ الإله الرئيس في بلاد عيلام .

---

[1] – مهرداد بهار، أديان آسياي ، ص 19.

[2] – تقي الدباغ ، الفكر الديني القديم ، ص 186.

[3] – سامي سعيد الأحمد، الحضارة العراقية في الأديان والمعتقدات الأصالة والتأثير، ص 148– ص 149.

[4] – عن أصل العيلاميون ينظر: عبد العزيز الياس سُلطان الخاتوني، علاقات العراق القديم ببلاد عيلام ، ص 21– ص 23.

[5] – سامي سعيد الأحمد، الحضارة العراقية في الأديان والمعتقدات الأصالة والتأثير، ص 144.

[6] – مهرداد بهار، بزوهشى در أساطير إيران ، ص 403.

ومن شواهد تأثر العيلاميين بالآلهة العراقية القديمة وتقديسهم لها ، ما تمثل بإرسال الملك العيلامي تامّاريتو (Tamritu) المعاصر للملك الآشوري آشور بانيبال (669- 630ق.م) لثلاثة جياد مزينة للإله (عشتار) في مدينة الوركاء ، وذلك لجرّ عربتها في الاحتفالات الدينية [1] . كذلك ورد أسماء آلهة رافدينية كانت تعبد في عيلام أدى الطرفان القسم بها أمثال : ننورتا، نين كارك، أشخار(ايشخار الرافدينية) . كما كانت الغالبية العظمى من أسماء أهالي الشوش التي وردت إلينا من العصر البابلي القديم ، تدخل في تراكيب أسماء آلهة رافدينية ، مثل : أدد، أيا ، أنليل، ايرا، كبتا ، ننشوبر، سن، عشتار، لاما، ننكال، ننخرساك، ايشوم وساتران ، وجميعها تشير إلى رسوخ عبادة الآلهة الرافدينية في عيلام [2] . وهناك تأثيرات دينية رافدينية أخرى في عيلام ، لا نريد الخوض في تفصيلاتها ، لكي لا يتسع الإطار الذي أردنا وضعه ، واكتفينا بذكر شواهد من تلك التأثيرات الدينية الرافدينية على الديانة العيلامية [3] .

التأثير الرافديني في عقائد الخِصب الإيرانية :

قبل الولوج في موضوع التأثير، لا بد من تحديد ما يعنيه مصطلح عقائد الخصب لغةً ، إذ وردت هذه الكلمة في اللغة الأكدية (hisbu) [4]. وأما في معاجم اللغة العربية ، ترد نقيضُ الجدب ، وهو كثرة العشب ورفاهية العيش ، وخصبة الأرض خصباً ، فهي خصبة ، وأرض مخصاب : لا تجدب ، والمخصبة : الأرض المكلئة [5] . والخصب : النماء والبركة [6]. أما ما تعنيه عقائد الخصب في الحضارات القديمة اصطلاحاً ، فهي : العقائد التي تُعنىّ بحاجات الإنسان من الغذاء ، والتكاثر، لديمومة الحياة ، وما يرافق ذلك من طقوس ومراسيم سنوية ، تساعد على استمرارية الخصب في الطبيعة ، والكائنات الحية . وهناك آلهة معنية بالخصوبة ارتبطت بها أساطير ومعتقدات دالة على الخصب واستمرار الحياة .

ثمة مشتركات في أكثر عقائد الخصب في الحضارات القديمة ، ولاسيما في ثنائية الآلهة المرتبطة في الخصب ، سبق وأن المحنا إليها، وهي : (عشتار – تموز) في بلاد الرافدين ، و (

[1] – سامي سعيد الأحمد، ورضا جواد الهاشمي ، تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص 65.

[2] – سامي سعيد الأحمد، الحضارة العراقية في الأديان والمعتقدات الأصالة والتأثير، ص 144– ص 145.

[3] – للاستزادة ينظر :عبد العزيز الياس سلطان الخاتوني ، علاقة العراق القديم ببلاد عيلام ، ص63– ص67.

[4] – رينه لابات ، قاموس العلامات المسمارية ، ص 336.

[5] – ابن منظور ، لسان العرب، ج4، ص 77 – ص 78.

[6] – ابن البراج ، المهذب ، ج1، ص 145.

عنات – بعل) في بلاد الشام ، و (ايزيس – اوزريس) في مصر القديمة ، و (سيبيل - آتيس) عند الحثيين ، و (اناهيتا – مثرا أو مهر ، وفيما بعد سياوش) في إيران القديمة .

إن عقائد الخصب الرافدينية تُعدّ المرجعية لعقائد خصب في مجتمعات أخرى سواء القريبة منها أم البعيدة . وسنحاول أن نركز على المشتركات بين عقائد الخصب في كلٍ من بلاد الرافدين ، وإيران القديمة ، والتي هو مدار بحثنا ، ومن ثم نُبيّن التأثير الرافديني في هذا المجال .

ويُمكن أن نجد بعضا من التماثل أو ربما التأثر في وظائف الآلهة بين عشتار وتموز الرافدينيين وبين ميثرا معبود الأقوام الهندو أيرانية منذ الألف الثاني قبل الميلاد ، فهو الإله الذي يراقب تنفيذ العقود ، ومن ثم إلهاً للحرب ، يناصر الصالحين والمخلصين، ويهلك بقسوة ناكثي العهود والمختالين ، قُدس إلها قاضياً للبشر ، بما فيها أرواح الموتى ، ومن ثم أصبح إله الشمس ، إذ تعود كلمة ميهر إلى الأصل الإيراني القديم لكلمة ميثرا ، الذي بات يعني الشمس [1] . وقد خصص له ياشت في الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية (إفستا) [2] . وارتبط الإله ميثر بالخصب ، فهو الذي ينضج المحاصيل لأنه إله الشمس [3] . وينزل إلى الأرض ؛ لتوفير العيش فيها ، وحراسة البشر من معاداة اهريمن المبيدة [4] . ويبدو التماثل أو التأثر في وظائف هذا الإله مع عشتار ، التي عُدت إلهة الخصب والحرب ، مع الاختلاف بطبيعة جنس الإله ، بحسب مقتضيات طبيعة المجتمعين (الرافدين والإيراني القديم) . فضلا عن التماثل بينه وبين (عشتار) على وفق ما جاء في كتاب (إفستا) ، حينما شُبه بنجمة الصباح :

نقدّس ميثرا....

هو الإله العظيم ، يُخلق الكائنات ،

عندما يستضيءُ من القمر المستنير(يتحول) إلى الروح القدس في الصباح

ويستنير مُحياه مثل نجمة تيشترا [5]

وتيشترا الواردة في النص أعلاه مع تبدل المسميات هي : (عشتار) عند البابليين ، و (فينوس) عند اليونانيين ، و (الشعرى) عند العرب قبل الإسلام . ونرى أن الاحتفال بيوم النيروز (الاعتدال الربيعي) ، وهو يوم قيامة ميثر (مهير) ، مُماثل أو مُتأثر بـ (عيد الأكيتو)، وهو قيامة الإله مردوخ الرافديني ، وهذا ما سنأتي على تفصيلاته في بحثنا هذا.

[1] – خليل عبد الرحمن ، مقدمة ياشت 10، من كتاب إفستا ، ص 457.

[2] – إفستا ، ياشت 10، ص 457 – ص 486.

[3] – سليمان مظهر ، قصة الديانات ، ص 279.

[4] – توفيق وهبي ، اليزيدية ، ص 78.

[5] – إفستا ، ياشت10، ص 485.

وثمة تماثُل آخر في ميثيولوجيا الإلـه ميثـرا ، وعقائـد الخصـب الرافدينيـة ، يتمثـل فـي رمـز الثور، فالثور في أسطورة الإيرانيين خلقه (آهوارمزدا) وهرب منه ، فما كان من ميثرا إلا أن يتعقبه ، ثم قدَمَ ذلك الثور ذبيحة ، حتى يُمكن للأرض أن تخصب من دمائه المنبثقة [1]. وبالرجوع إلـى ملحمـة كلكامش لتبيان رمز الثور فيها ، وموازنته مع رمز الثور في ميثيولوجيا الإله ميثرا ، يتضـح التمـاهي في الرمز له ؛ إنه في قتل الثور سيتم القضاء على الجدب ، ففي ملحمة كلكـامش ، طلبـت عشـتار مـن والدها الإله (آنو) أن يعطيها ثور السماء ؛ لتنتقم من كلكامش بسبب تحقيـره لهـا، إلا أن (آنـو) يمتنـع في البداية عن تنفيذ رغبتها ، بسبب ما سيحل بمدينتها (أوروك) من مجاعة وقحط وجفاف ، في حـال دفع الثور إليها ، كما يتبيّن من نص الحوار بين (آنو، و عشتار) :

قال للأميرة عشتار(أي آنو) :

لن تطلبي مني ثور السماء مهما كانت الدوافع

فسوف تعرف أرض أوروك سبع سنواتٍ من القحط والجفاف

وستجمعين الرمال(؟) الحشائش (؟) بدل.....(؟)

أسمعت عشتار صوتها وتكلمت ، قالت لأبيها وتكلمت،

قالت لأبيها آنو ، لقد ملأت مخزناً (من الحنطة في أوروك ؟) ،

وأمَّنت الإنتاج ..... [2]

وأن في قتل الثور السماوي ، انتهاءً للفوضى والجفاف ، لذا عمَّ الابتهاج مدينة اوروك لمقتلـه [3] . فيمكن التوصل إلى نتيجـة مفادهـا أن ثمـة تماثـل وتـأثر ؛ فالتضـحية بـالثور ؛ لكـي يُحصـل علـى الخصب ، سواء في ذبح (ميثرا) للثور أم ما جاء في ملحمة كلكامش ؛ لتفادي الجدب والفوضى . وقـد سبق السومريون الإيرانيين في موضع إقران قتل الثور بالخصب . فاعتقـدوا أن فكـرة سـقوط الأمطـار بَعَدَ جَدب ، بأنها وسـاطة مـن الطيـر المركـب العمـلاق (أمـد كـود) ، إذ جـاء لإنقـاذهم ، فكسـا السـماء بجناحيه من سحب الزوابع السوداء ، وألتهم (ثور السماء) الذي كان قد أحرقَ الزرع بأنفاسه الملتهبة [4] . وليس بالغريب حينما نقرأ في الفكر الأسطوري البابلي ، عن صراع الآلهة مع الثور، وتحديداً في أسطورة الخليقة البابلية ، فكـان الثـور مـن بـين الوحـوش التـي تثيرهـا تيامـت ضـد الإلـه (مـردوخ) ، ويتمكن من التغلب عليها في نهاية المطاف . كذلك ما جاء في أسطورة انزو ، التي تُشيد بأعمال الإلـه

[1] – إفستا ، ياشت10، ص 485.

[2] – ستيفاني دالي ، أساطير بلاد ما بين النهرين ، ص 107.

[3] – ينظر تفصيلات عما حل في أورك عند نزول الثور السماوي ، وكيفية مقتله ، والابتهاج بذلك : ستيفاني دالي ، أساطير بلاد ما بين النهرين ، ص 108– ص 110.

[4] – زهير صاحب ، أُغنية القَصب دراسة في الحضارة السومرية ، ص 125.

(ننورتا) ، ظهر فيها الثور الوحشي من بين أعدائه الذين يتغلب عليهم [1] . وهذا ما يُرجح أن فكرة صراع الآلهة مع الثور ، فكرة رافدينية ، اقتبسها الإيرانيون منهم بفعل التأثير التقادمي.

وبالرجوع إلى التضحية بالثور وذبحه من قبل الإله (ميثرا / مهر) ، يبدو التماثل والأرجح التأثير الرافديني واضحا في هذا الطقس ؛ فكان العراقيون القدماء ، يذبحون في احتفالات عيد الأكيتو (المماثل لعيد الإله ميثرا أو مهر) ثوراً أبيضاً . ونلحظ هذا التأثير نفسه على العيلاميين الساكنين في جنوب غرب إيران، حينما كانوا يذبحون ثوراً في عيد الإله شيموت في الخامس من شهر آذار(المقارب في الزمن لعيد الأكيتو) [2] .

ومن التأثيرات الرافدينية التي تبدو واضحة في أساطير الخصب الإيرانية ، هي التماثل بين شخصيتي (تموز – سياوش) مع بعض الاختلافات ، المتأتية حتما من إعادة أنتاج هذا الإله على وفق الرؤية الآرية ، وتتلاقى الأساطير المتعلقة بهذين الإلهين في نقاط أهمها : موت الإله ، وأعادت بعثه من جديد في احد مظاهر الطبيعة الحية كالنبات أو الحبوب ، إذ تموت الحياة لتولد من جديد . فنقرأ في أسطورة " نزول انانا إلى العالم السفلي " ، والتي ترتكزّ عليها عقيدة سكان بلاد الرافدين فيما يخص الإله دموزي (تموز) وزوجته انانا (عشتار) ، إن الإله (عشتار) كانت السبب المباشر في شقائه الأبدي ؛ لأنها هي التي قدمته بديلا عنها ليذهب إلى عالم الأموات مقابل خروجها منه[3]. في المقابل نجد التماهي في شخصية (سياوش) مع (تموز) ، فكلاهما يذهب ضحية العنصر الأنثوي [4]. ففي الشاهنامة التي نظمها الفردوسي[5] يتجلى في تاريخها الأسطوري ، أن (سياوش) ابناً لـ (كيكاوس) من سلالة الكيانيين [6] ، كان شاباً ناضراً ، وذو جمالاً باهراً ؛ مما دفع (سودابه) زوج أبيه أن تقع في حبه ، فحاولت إغوائه ، لكنه رفض ، وكان كيكاوس مغرما بـ (سودابه) ؛ لذلك وبسبب حيلتها ، استطاعت أن تجعل (كيكاوس) يشك بـ (سياوش) ؛ مما أدى إلى خضوعه لاختبار النار، والذي يتطلب من المتهم أن يَعبر من النار ، لذلك مرّ (سياوش) من النار ، ويُمّثل دخوله النار موته ، ومن ثم خروجه منها ، مما يدل على عودة الحياة من جديد [7] . ولعل في دخول (سياوش) النار دليلاً

[1] – سجى مؤيد عبد اللطيف ، الحيوان في أدب العراق القديم ، 111.

[2] – سامي سعيد الأحمد، الحضارة العراقية في الأديان والمعتقدات الأصالة والتأثير، ص 146.

[3] – فاضل عبد الواحد علي ، عشتار ومأساة تموز ، ص 174 – ص 175.

[4] – محمد جعفر ياحقي ، نقد اساطير شخصيت جمشيد از اوستا وشاهنامة ، ص 298 .

[5] – ينظر تفاصيل ذلك : ج1، ص 155 – ص 160.

[6] – وقد سموّ بالكيانية ؛ لأن أسماءهم تبدأ بكلمة (كي) ينظر : طه ندا ، دراسات في الشاهنامة ، ص 59.

[7] – مهرداد بهار ، بزوهشي در اساطير ايراني ، ص 189.وقد وّرد في إفِستا " أيها الروح الطيب أُهرامزدا ، أنت تقضي بالنار بين الخصوم أيهم أتقى وأطهر . وكثير ممن يرونها يؤمنون بقانونك" ، ينظر: الفردوسي ، الشاهنامة ، ص 160.

على حرارة الصيف وجفاف الطبيعة ، والدليل على هذا الأمر أنه كانت تقام طقوس (سياوش) في أسيا الوسطى في فصل الصيف ، إذ تموت الحياة ، لتولد من جديد [1] .

ويبقى البطلين الإلهين (تموز و سياوش) رمزا للخصوبة ، على الرغم من أوجه الاختلاف بينهما في طبيعة الأدوار التي يؤديها كليهما في أساطير البلدين (الرافدين ، وإيران القديمة) ، ففي المرّة الثانية : يقتل (سياوش) من قبل ملك الطورانيين (افراسياب)، وكانت زوجته حاملاً ، وبعد مقتله ، وضعت ولده ، وسّمي (كيخسرو) ، الذي ينتقم لأبيه ، ويسعى للأخذ بثأره [2] . ويُعدّ ذلك تجدداً للحياة ، ولا تخرج عن إطار عقيدة الخصب ، بتجدد النسل ، وفيها بعض التماهي مع الأساطير المصرية القديمة في مقتل أوزريس من قبل أخوه (ست) ، الذي يبعث من جديد بفضل زوجته (إيزيس) [3]، وكذلك مع أسطورة أودنيس الفينيقية [4] ، ففي مقتل (سياوش) تتجلى رمزية الإخصاب ، وهي ظهور النباتات من دمه بعد قتله ، دليلاً على قوة الإخصاب المودعة في هذه الشخصية [5] . الذي يّعنينا من عقائد الخصب في البلدين (الرافدين ، وإيران القديمة) ، التماهي في الدلالة والرمز ، أما الاختلاف ؛ فيعزى إلى تباين الظروف ، وإبداع مفاهيم ، قد تختلف في تفصيلاتها ، بيد أنها تتشابه في الفكرة ، والخطوط العامة . أما الاختلاف في عقيدة قيامة إله الخصب في كلا البلدين ، فتتجسد في خروج (تموز الرافديني) من عالم الأموات لنصف عام ، بعد أن تأخذ أخته (كشتن- انا) مكانه في النصف الآخر ؛ لكونها بديلة عنه على وفق نواميس العالم السفلي في بلاد الرافدين [6] . بينما تتجلى عودة (سياوش) ، في ابنه (كيخسرو) ، الذي ينتقم من مقتل أبيه ، ويبقى خالداً مدى الزمن إلى أن يخرج ثانيةً في آخر الزمان مع (سوشيانت) [7] . ونلحظ ثمة تماثلا مع شخصية الخضر في التراث الشعبي الإسلامي. واسم (الخَضِر) بفتح الخاء وكسر الضاد ، يعني الأخضر ، وهو شخص حي في كل زمان ومكان ، محجوب عن الأبصار إلى يوم القيامة [8] .

وفي أساطير الخصب الرافدينية ، هناك طقس البكاء الجماعي ، والحزن على اختفاء الإله الشاب (دموزي) السومري أو(تموز) البابلي وموته ، والمراثي التي ألفها الشعراء السومريون والبابليون للبكاء عليه ، والملاحظ إن معظم هذه المناحات قد أُلفت على لسان زوجته الإله (إنانا /

---

[1] – صادق آئينه وند وحسن نصر الله ، دراسة مقارنة في أساطير الخصب : سياوش وأودنيس نموذجا ، ص3.

[2] – ينظر تفصيلات ذلك : الفردوسي ، الشاهنامة،ج1، ص 184 وما بعدها.

[3] – ينظر تفاصيل هذه الأسطورة : قتيبة أحمد سلمان، عقائد الخصب في حضارتي بلاد الرافدين ووادي النيل ، ص 113– ص 119.

[4] – جيمس فريزر ،أدونيس أو تموز، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، ص 15– ص 23.

[5] – صادق آئينه وند وحسن نصر الله ، دراسة مقارنة في أساطير الخصب ، ص 3.

[6] – فاضل عبد الواحد ، عشتار ومأساة تموز ، ص 174.

[7] – صادق آئينه وند وحسن نصر الله ، دراسة مقارنة في أساطير الخصب ، ص 5.

[8] – فراس السواح ، لغز عشتار، ص 344.

عشتار) [1] ، أو على لسان أخته (كشتن – انا) ، أو على لسان أمه (ننسون أو سرتور) ، وقد غلب على هذه المناحات طابع الحزن العميق ، والعاطفة المشوبة بالحب [2]. ومن هذه المراثي التي جاءت على لسان (انانا) :

راح قلبي إلى السهل نائحاً

إني أنا سيدة معبد اي – انا (Eanna) التي تحطم بلاد الأعداء

.....

راح قلبي إلى السهل نائحاً نائحاً

راح إلى مكان الفتى ،

راح إلى مكان دموزي

إلى العالم السفلي ، مستوطن الراعي [3]

وقد جاء في التقاويم البابلية ، إن الحزن والبكاء على الإله ، كان يبدأ في اليوم الثاني من شهر (Duzi) أي تموز ، وهو الشهر الرابع من السنة البابلية ، إذ يبدأ موت الطبيعة إبان الصيف المحرق ؛ فتقام في الأيام الثلاثة الأخيرة من هذا الشهر احتفال اسمه بالاكدية (Taklimtu) ، تجري فيه مواكب للعزاء تحمل فيها المشاعل ، ودفن طقسي لدمية تمثل الإله (تموز) [4]. ويرى أحد الباحثين أن السنة السومرية تبدأ في (21آذار) من كل عام ، فيقام عيد زاكموك (ZAG.MUG) ، وترادفها بالاكدي (الزاكموكو ZAG.MU) الأول ، وهو عيد البذر والفرح والربيع ، إذ تستحضر جميع قصائد دموزي وانانا ، وأساطيرها، وعشقها، وزواجها المقدس ، أما عيد (الزاكموكو) الثاني ، فيجري في نهاية شهر تموز ، وهو عيد الحصاد ، وترافقه مراثي البكاء على دموزي ، والنواح على موته ، وتستحضر كل المراثي الخاصة بذلك بما في ذلك مراثي انانا حوله [5] . وتستمر ظاهرة الحزن الجماعي ، حينما تتبادل الأدوار ، ويحل الإله (مردوخ) محل الإله (تموز) ، فحينما يتم أسر الإله (مردوخ) في جبل العالم السفلي ، وتصيب المدينة من أجله حالة من الفوضى والارتباك ، ويتقاتل

[1] – فاضل عبد الواحد ، عشتار ومأساة تموز ، ص 168.

[2] – ثابت شيبان الراوي ، الطقوس الدينية في بلاد الرافدين حتى نهاية العصر البابلي القديم ، ص 168 .

[3] – فاضل عبد الواحد ، عشتار ومأساة تموز ، ص 169.

[4] – فاضل عبد الواحد ، عشتار ومأساة تموز ، ص 168، وينظر: حكمت بشير الأسود ، أدب الرثاء في بلاد الرافدين ، ص 135.

[5] – خزعل الماجدي ، متون سومر ، ص 336.

الناس فيها ، فينوحون الرجال عليه ، وتبكي زوجته الإله (صربنيتم) ، وتصيح : أخي ... أخي [1]. وفي نص عُثر عليه في مدينة آشور (رقمه – VAT 9555) يُبين أن احتفالات رأس السنة البابلية كانت تحتوي في فقراتها على تمثيلية إخراج الإله (نابو) لوالده (مردوخ) من جبل العالم السفلي ، وأن اليوم الذي تجري فيه هذه التمثيلية يكون يوما عصيبا على السكان ، إذ يحزن الناس ، ويتضاربون ، حتى تسيل دماؤهم مثلما سال دم الإله (مردوخ)، عندما أُخذ إلى العالم السفلي [2]. وكذلك ما وصل إلينا من نصوص تعود للعصر البابلي القديم بما يُشير إلى احتفال البكاء الكثير ، وعيد البكاء الكثير والتجوال في المدينة [3]. ولعل من الجدير بالذكر هو امتداد هذه الطقوس الرافدينية القديمة ، ليس إلى إيران فحسب ، وإنما نجد تماثل تام بين حوادث صلب المسيح وصعوده إلى السماء ، ونزول الإله (مردوخ) إلى العالم السفلي ، فهي بذلك دليل مؤكد على استمرار أسطورة تموز حتى زمن السيد المسيح [4].

ونلحظ امتداد طقس الحزن الجماعي في معظم أساطير الخصب في الشرق الأدنى القديم ، والأكثر من ذلك امتد هذا التأثير في الديانات اليهودية ، والمسيحية كما مرّ بنا، والصابئة . ولا نريد الخوض في تفصيلات ذلك ؛ خشية الخروج عن الأطر التي رسمناها للبحث[5]. الذي يعنينا تماثل طقوس الحزن الجماعي على موت كل من (تموز ، وسياوش) . ويؤكد هذا التماثل الباحث الإيراني (مهرداد بهار) بقوله : " ومن المعروف أن شخصية سياوش والطقوس المرتبطة به ، متحدة اتحاداً وثيقاً بطقوس العزاء ومراسيم رأس السنة الزراعية الخاصة بإله النبات والإله الشهيد في بلاد الرافدين " [6] . فقد عُثر على نقوش في آسيا الوسطى تجسد فيها طقس الحزن الجماعي ، تمثلت في مواكب الحزن والعزاء على سياوش ، بحمل نعشه على الأكتاف ، محاط بجماعة من المعزين يبكون وينوحون [7] . وكذلك ما عُثر على رسومات ، تمثل نساء نادبات في حاجي فيروز ، يُعتقد أنها تعود إلى مراسم عزاء (سياوش)[8] . وإذا ما دققنا في معنى كلمة (سياوش) : تعني صاحب الحصان الأسود ، وربما أن اللون الأسود تحديداً للدلالة على مراسم العزاء وموته ، وهي مأخوذة من فكرة

---

[1] – راجحة خضير عباس النعيمي ، الأعياد في حضارة بلاد الرافدين ، ص111.

[2] – المصدر نفسه ، ص111– ص 112.

[3] – راجحة خضير عباس النعيمي ، الأعياد في حضارة بلاد الرافدين ، ص 73.

[4] – إذ عملت الباحثة راجحة خضير عباس النعيمي جدولا في أوجه التشابه بين نزول الإله مردوخ وصلب السيد المسيح ، ينظر تفصيلات أكثر : الأعياد في حضارة بلاد الرافدين ، ص 114– ص 117.

[5] – ينظر تفصيلات ذلك: فاضل عبد الواحد علي ، عشتار ومأساة تموز ، ص 179 – ص 181 ، ص183– ص 184.

[6] – جستار چند در فرهنگ إيران ، ص 88.

[7] – حصوري علي ، سياوشان ، ص 44.

[8] – جواد محمد زماني ، بررسى باورها ونمادها إيرانى در آيين سوكوارى إمام حسين ، ص 35.

الرثاء في بلاد الرافدين [1]. وحينما تتبادل أدوار آلهة الخصب في إيران القديمة ، ويحل مهر بدلا من سياوش ، تجري الاحتفالات نفسها والمراسيم الدينية ، لطقوس العزاء الجماعي ، وتدعى بالاحتفالات المهرية ، وتقام في شهر تير ، وهو الشهر السابع في السنة الإيرانية ، وهو ما يماثل احتفالات الرثاء لـ (تموز) البابلي في الصيف [2]. ومما يُذكر استمرار طقوس الحزن الجماعي في إيران في حُقب لاحقة (العصور الإسلامية) ، هذا ما ذكره النرشخي في قوله : " يجتمع أهل بخارى ؛ للبكاء على سياوش في جميع الأقاليم ، وتُنشد في هذه المناسبة المراثي ، والأناشيد الحزينة" [3] .

ويتجلى تأثر الإيرانيين بالحضارة الرافدينية في أبعد مداه ، في ما يسمى عند الإيرانيين (عيد النيروز) وهو عيد رأس السنة ، (عيد المهرجان) وهو عيد الإله (ميترا) الذي يُحتفل به يوم مهر (16 من شهر مهر) [4] ، وفي هذا الصدد يؤكد الباحث الإيراني (مهرداد بهار) بقوله : " إن عيد النيروز ، وعيد المهرجان ، يُعدّان من أكبر وأهم الأعياد الإيرانية ، ولا يزال إلى اليوم عيد النيروز ، هو العيد الرئيس لدينا ، هذان العيدان، ليسا آريين بشكل من الأشكال ، ولا هندو أوربيين أو هندو إيرانيين ، ولكنهما عيدا المجتمعات الزراعية والرعوية في آسيا الغربية " [5]. وفي الاتجاه ذاته يذهب الأُستاذ في الدراسات الإيرانية (أرثر كريستِنِسن) بأن عيد رأس السنة ، وبالفارسية يُسمى(نوروز) ، هو عيد ربيعي ، قد حفظ بعض خصائص عيد زاكموك (ZAG.MUG) ، الذي هو عيد البابليين القدماء [6] . وما يؤكد أن الإيرانيين استمدوا طقوس احتفالاتهم بعيد رأس السنة (النوروز) من الطقوس التي يمارسها العراقيون القدماء في عيد رأس السنة (الأكيتو) [7]. هو مصادفة النوروز في الوقت نفسه ، التي كانت تجري به احتفالات عيد الأكيتو (ابتداءً من 21 آذار) ، وتصادف (أول نيسان) ، ويدوم مثله اثني عشر يوماً . وكان النوروز يماثل الأكيتو ، إذ يُحتفل بخلق الإنسان والأرض والكون . وقد كان البابليون يمجدون به قتل الإله (مردوخ) لـ (تيامة) وزوجها (كينكو) ، وخلقه من دم الأخير أو دمها في رواية، البشر ، ومن جسمه السماء والأرض . والغريب أن الإيرانيين يحتفلون بذكرى خلق الإنسان والأرض والكون في الخريف أيضا (عيد المهرجان) [8]. ومن رسوم الأكاسرة

---

[1] – هامان منبع ، ص 34.

[2] – أبو القاسم إسماعيل بور ، ميتره (ايزدمهر) ، ص 34.

[3] – تاريخ بخارى ، ص 32– ص 33.

[4] – عن هذه الأعياد ، ينظر : كريستنسن ، إيران في عهد الساسانيين ، ص 161– ص 163.

[5] – جستار چند در فرهنگ إيران ، ص 212.

[6] – إيران في عهد الساسانيين ، ص 162.

[7] – ينظر تفصيلات طقوس هذا العيد : راجحة خضير عباس النعيمي ، الأعياد في حضارة بلاد الرافدين ، ص61وما بعدها.

[8] – سامي سعيد الأحمد ، الحضارة العراقية في الأديان والمعتقدات الأصالة والتأثر، ص 148.

في هذا اليوم التتويج بالتاج الذي عليه صورة الشمس وعجلتها الدائرة عليها [1] . ويتماثل ذلك مع رمز الإله آشور كما بيّنا سابقاً . وكذلك مع احتفالات ارتبطت بعيد الاكيتو ، والتي تصادف في فصل الخريف ، ويتم فيها أعادة تتويج الملك [2].

وربما يعزى التماهي اللافت بأساطير الخصب الرافدينية والإيرانية إلى التأثيرات الرافدينية في الأخير ، وهذا ما يتضح في الأسطورة الإيرانية التي تضمنت حرب (كي خسرو) ضد (افراسياب) ، والداعم في حربه هذه هي (فرنكيس) أمهُ [3]. ينطلق كي خسرو وكيو وفرنكيس باتجاه نهر جيحون ، لكن الحارس يمنعهم من الدخول ؛ لذلك يخبر كيو ، كي خسرو ، إنه لابد أن يسير على المياه ؛ ليستطيع أن يصل إلى الحكم والسيطرة [4] . ويعلل الباحث (مهرداد بهار) ، إن أهمية العبور من المياه في الأساطير الإيرانية للأبطال حصراً قبل الحصول على القدرة والسيطرة ؛ لأنها تمثل الولادة الجديدة ، فالعبور من المياه تدل على الطهارة والقدسية [5] . وفي الرجوع إلى الأساطير الرافدينية القديمة ، فحينما حل (مردوخ) محل (تموز) في أعياد الاكيتو ، إن أهم المراسم التي تؤدي إلى نجاة (مردوخ) من الأسر ، هو إنقاذه من قبل ابنه الإله (نابو) ، الذي يأتي بتمثاله في قارب عن طريق النهر ، لتبدأ مراحل إنقاذ (مردوخ) والقضاء على الفوضى والارتباك ، التي أصابت المدينة ، من جراء أسرّ (مردوخ) في العالم السفلي [6] .

ويمكن الموازنة بين إلهي الخصب في الديانة الرافدينية (انانا / عشتار) ، والإله (آناهيتا) التي عُبدت في إيران والهند ، نلحظ كلتيهما آله أنثوية ترمز للخصوبة . إذ عُدّت الإله (آناهيتا) ، إلهة الأنهار [7] . وترتبط وظيفتها بخصب الطبيعة ، فبقدرتها ينزل المطر، وتجري الأنهار ، وينبت العشب ، وتمنح النساء والحيوانات النسل ، فهي المكلفة بإدامة الحياة للبشر والحيوان والنبات [8] . ويرد ذكرها في كتاب (إفِستا) بـ (آناهيدا) [9] ، تعني (الطاهرة) [10] . وخصص لها ياشت كامل (سورة) :

هي تخلق بذور كل الرجال ، وتحضر الولادة

---

[1] – جمشيد يوسفي ، الزرادشتية ، ص 226.

[2] – سامي سعيد الأحمد ، الحضارة العراقية في الأديان والمعتقدات الأصالة والتأثر، ص 148.

[3] – كريتس ، اسطورهای ملل اسطورهای ايرانی ، ترجمة عباس مخبر، ص 34.

[4] – رحيم عفيفي ، أساطير وفرهنك إيراني در نوشته هاي بهلوي ، ص 76.

[5] – بزوهشي در اساطير ايران ، ص 75.

[6] – ينظر : راجحة خضير عباس النعيمي ، الأعياد في حضارة بلاد الرافدين ، ص110– ص 112 ، ص 120.

[7] – هندركس ، معجم الأساطير، ص 36.

[8] – أمير حسين خنجي ، بيداش إيران، ص 65.

[9] – ياشت 5، ص 409

[10] – خليل عبد الرحمن ، مقدمة ياشت 5، ص 408.

هي حضن الأمهات لكل الزوجات ، تخفف آلام الولادة

وتملأ أثداء الأمهات بالحليب ، في وقت معين معهود [1]

وفي مقطع آخر :

هي العظيمة ، المشرقة ، الطويلة والهيفاء،

مياه غزيرة بقدرِ كل المياه التي تجري على الأرض [2]

وبهذه الوظائف تتماثل مع الإله (انانا / عشتار) إلهة الحب والخصب عند السومريين ، وإلهة الخصب والحب والجنس والحرب لدى الأكديين والبابليين [3] . وتتماثل الإلهة (انانا / عشتار) أيضا مع الإلهة (تيشتر) في المثيولوجيا الإيرانية ، التي هي أصل جميع المياه والأمطار ومسببة الخصوبة والنماء [4] ، وحملّ النساء العواقر [5]. وتُماثل أيضا نجمة الزُهرة أو الشَعَرىَ التي عبدتها قبيلة بني خُزاعة قبل الإسلام ، وكان طلوعها يبشر بموسم الخير والبركة وهبوط الأمطار ، وتظهر نجمة الشعرى في شهر تير ، الذي هو الشهر نفسه المسمى باسم الربة تيتشر ، وتبشر بهبوط المطر [6] . وقد خُصص للإلهة (تيشتر) يشت كامل (يشت 8) من كتاب (إفستا) ، وتظهر عادة في فصل الخريف ، تدير الأمطار ، وبشكل عام المياه كلها، ويعرض هذا اليشت ، صراع (تيشتر) الأسطوري مع المارد (أوباوشا) ، لعل معناه (المجفف أو قاطع المياه) [7] . وبعد مقتله يُعم الخصب ، وتطلق المياه ، ويأخذ المطر في السقوط [8] .

ومما لاشك فيه أن أهم منظومة عقائد الخصب ، هي تلك التي تتمثل بالصراع بين آلهة الخصب وقوى الجفاف والموت ، ورمزية هذا الصراع تتمثل في حال انتصار قوى الخصب على قوى الشر والجفاف ، بتجدد الحياة ، وازدهار الخضرة والإنماء . وفي دورة انتصار قوى الشر تّعُم الفوضى والدمار ، وتتوقف الحياة على سطح الأرض . ويُشكل هذا الصراع المُرتكز في عقائد الخصب .

---

[1] – إفستا ، ص 409.

[2] – إفستا ، ياشت 5، ص 412.

[3] – ينظر تفصيلات أكثر: قتيبة أحمد سلمان ، عقائد الخصب في حضارتي بلاد الرافدين ووادي النيل دراسة مقارنة ، ص37– ص 38.

[4] – جان راسل هينليز ، شناخت اساطير إيران ، ترجمة ژاله اموزگار، أحمد تفضيلي ، ص 37.

[5] – صادق آئينه وند وحسن نصر الله ، دراسة مقارنة في أساطير الخصب ، ص6.

[6] – محمد جعفر ياحقي ، معجم الأساطير، ص150.

[7] – إفستا ، ياشت 8، ص 439وما بعدها.

[8] – م.ج. درسدن ، أساطير إيران القديمة ، ص 311.

وتتمثل ثنائية الصراع بين قوى التكاثر والإنماء ، وقوى الشر والجفاف في ميثيولوجيا الخصب الرافدينية بالآتي : دموزي / تموز- شياطين الكالا ؛ مردوخ – تيامت. أما في ميثيولوجيا الخصب الإيرانية ، فهي: ميثرا / مهر – الثور ؛ سياوش – سودابة ؛ فريدون– الضحاك . ففي الصراع الدائر بين دموزي أو تموز، يصور لنا الشاعر السومري : كيف أن شياطين الكالا ، وعددهم سبعة ، كانوا يحيطون بـ (دموزي) ، وهو نائم في الحظيرة . وأن ستة منهم تناوبوا بالدخول إليها لتخريبها ، حتى أحالوها في النهاية إلى كومة تراب . وتذكر القصيدة أن السابع منهم أيقظ (دموزي) من نومه (المصطنع) على حد تعبير النص السومري ؛ ليخبره بأنهم يُطبقون عليه من كل جانب ، وأن عليه أن ينهض ويذهب معهم . وتستمر القصيدة السومرية بعد ذلك في وصف هروب دموزي من قبضة الشياطين واستغاثته بالإله (اوتو) ، وأخيراً يُحكم الشياطين قبضتهم عليه ، ويقتادونه أسيراً إلى العالم السفلي [1] .

وتذكر قصة الخليقة البابلية تفصيلات صراع الإله (مردوخ) مع (تيامت) ، ومردوخ في الأصل ، إله زراعي أو لعله إله شمسي [2] . تولى قيادة الآلهة في معركتها المصيرية ضد قوى الشر متمثلةً بـ (تيامت) ، وقد انتهى هذا الصراع بانتصار (مردوخ) على (تيامت)، ويمكن أن نستنبط من قصة هذا الصراع ، أن (تيامت) تُمثل عنصر الشر أو العماء ، في حين يُمثل (مردوخ) عنصر الخير ، ومن الملاحظ أن (تيامت) تُسمى المياه الأزلية المالحة (المسببة للجدب) ، ومن أبرز القوى التي جندتها في حربها ضد (مردوخ) ، هي : التنانين والثعابين ، في حين اتخذ (مردوخ) الرياح والعواصف المدمرة أسلحةً له [3] .

أما الصراع في ميثيولوجيا الخصب الإيرانية القديمة ، فأهمها : الصراع الدائر بين الإله (ميثرا / مهر) والثور ، فهذا الصراع يُجسد فكرة تجدد قوى الطبيعة والحياة ، بعد الموت . فالإله (ميثرا / مهر) يُمثل قوى الطبيعة ، والإله المُخلص ، الذي يعيد الحياة إلى النباتات من جديد ، ويتم ذلك في قتله للثور [4] . أما الصراع الآخر ، فيتجسد في أسطورة قتل (سياوش) والذي يُعدّ رمزاً للإله الذي يبعث من جديد ، ولها تماثلاً واضحا مع أسطورة تموز .

وقد ألقت البيئة بظلالها على الصراع في الأساطير الإيرانية القديمة ، متمثلةً في الصراع الدائر بين الإلهة (تيتشر) ، والتي عرفناها رمزاً لنجمة الزهرة (الصباح) ، مع (آبوش) ، وفي كتاب إفستا يُدعى(أوباوشا) ، الذي هو رمزاً للجفاف ، والراجح أن هذه الأسطورة تعود للمعتقدات العيلامية

[1] – فاضل عبد الواحد علي ،عشتار ومأساة تموز ، ص 171– 172.

[2] – ينظر : جاكوبسن ، أرض الرافدين ، ضمن كتاب ما قبل الفلسفة ، ص 200.

[3] – ينظر تفصيلات ذلك : فاضل عبد الواحد علي ، من الواح سومر إلى التوراة ، ص306– ص 313.

[4] – أبو القاسم إسماعيل بور ، ميتره (ايزدمهر) در اوستا ، ص 34.

، والتي بدورها قد تأثرت كثيراً بالمعتقدات الرافدينية[1]. ويبدو أن الجفاف وعودة الحياة من الأمور التي تعايش معها العيلاميون ؛ لكونهم سكنوا السهول الجنوبية من بلاد إيران القديمة .

والصراع الأخر في الميثيولوجيا الإيرانية القديمة ، والدال على الصراع بين قوى الخير مع قوى الشر ، هو الصراع الذي نقلته لنا الشاهنامة بين (فريدون) ، البطل الذي تشترك فيه أساطير إيران والهند ، وهو هرقل الإيرانيين ، مع (الضحاك) الذي يرمز للفوضى [2]. ويرد ذكر (الضحاك) في كتاب الزرادشتين المقدس(إفستا) ، في (ياشت9) بـ (اژدهاك) ويعني (حية الشيطان) ، ذي الأفواه الثلاثة ، والرؤوس الثلاثة ، والعيون الستة ، والذي له ألف حاسة [3] . وما يعنينا من أسطورة (فريدون وقتله للضحاك) بقدر تعلقها في عقائد الخصب ، والمُتجسد فيها الضحاك بأنه مخلوق شيطاني له حيّتان على كتفه ، ابتلعتا الشمس ، فحدثت ظاهرة الكسوف ، إلا أن انتصار البطل الأسطوري فريدون ، وقتله للحيّات ، أدى إلى سطوع الشمس من جديد [4] . وهذا يعني تجدد الحياة .

الخاتمة

تناولنا في بحثنا هذا أثر المعتقدات الدينية في عقائد الخِصب الإيرانية ، وقد بيّنا مصطلح عقائد الخصب لغةً واصطلاحاً ، واتضح أنها الطقوس والمراسيم السنوية التي تساعد على استمرار الخصب .

وتبيّن أن هناك تأثيرات رافدينية في عقائد الخصب الإيرانية القديمة ، تمثلت في ثنائية الآلهة الرافدينية للخصب (انانا / عشتار – دموزي / تموز) ، وتماثلها مع الآلهة الإيرانية (اناهيتا – ميثرا أو مهر ، وفيما بعد سياوش) .

والتأثير الأخر ، تمثل بالتماهي في رمزية ذبح الثور للقضاء على الجدب في ميثيولوجيا الإله ميثرا ، وفي الأساطير الرافدينية ، وكذلك في ذبحة في احتفالات عيد الأكيتو المماثل لعيد الإله ميثرا أو مهر الإيراني القديم .

وتطرق البحث إلى ارتكاز عقيدتي الخصب (الرافدينية ، والإيرانية القديمة) على موت الإله ، وأعادت بعثه من جديد في أحد مظاهر الطبيعة الحية . (تموز ، مردوخ) في العقائد الرافدينية . يقابلها (سياوش) ، مع بعض الاختلاف في تفصيلات طبيعة الانبعاث ، بسبب اختلاف ظروف البلدين ، ومحاولة أعادة أنتاج الأساطير الرافدينية بما يتوافق مع العقلية الآرية . ومن التأثيرات الواضحة ، هي طقوس الحزن الجماعي الرافدينية على الإله دموزي / تموز ، ومن ثم تتبادل الأدوار ويحل الإله

[1] – إفستا ، ياشت 8، ص 439وما بعدها.

[2] – ينظر تفصيلات هذا الصراع : الفردوسي ، الشاهنامة ، ج1، ص25– ص 41.

[3] – إفستا ، ياشت 9، ص 454.

[4] – فرخ لطيف نجاد ، جمشيد در منشور أساطير ، ص 243.

(مردوخ) محل (تموز) ، ونجد ما يماثلها من طقوس حزن جماعي في الميثيولوجيا الإيرانية على (سياوش) .

وتّضح أن التأثير الرافديني قد بلغ ابعد مداه ، حينما استمد الإيرانيون طقوس احتفالاتهم بعيد رأس السنة (النوروز) من الطقوس التي مارسها العراقيون القدماء في عيد رأس السنة (الأكيتو) . وكذلك التماهي في جنس الآلهة الخصب، ففي العقائد الرافدينية (انانا/ عشتار) ، أما في العقائد الإيرانية فالإله (آناهيتا) ، فكليهما أنثوي ، وارتبطت وظيفتيهما بالخصب .

ولم يغفل البحث في ذكره لأهم منظومة في عقائد الخصب ، وهي الصراع بين آلهة الخصب وقوى الجفاف والموت ؛ المتجسد في المثيوجيا الرافدينية بصراع (دموزي مع الشيطان الكالا)، و(مردوخ مع تيامت) ، وفي الميثيولوجيا الإيرانية بصراع (ميثرا / مهر مع الثور)، و(سياوش مع سودابه) ، و(الإلهة تيتشر مع أوباوشا) ، و (فريدوين مع الضحاك) .

وتوصّل البحث إلى أن هذا التأثر كان بسبب جملة عوامل : منها التأثير التقادمي للحضارة الرافدينية في الحضارة الإيرانية . والرقي الحضاري والفكري لسكان بلاد الرافدين موازنةً بـ (الآريين) المهاجرين إلى إيران ، الذين كانوا أقل حضارة من جيرانهم الرافدينيين، والعامل الأخر: التأثير الرافديني القوي على العيلاميين ولاسيما في الجانب الديني ، وهذا انتقل بدوره إلى السكان الآريين في إيران . كما لا يمكن أن نغفل ذروة التأثر ، الذي جاء بعد سقوط بابل على يد كورش سنة (539ق.م) ، ومحاولة رجال الدين الآخمينيين التوفيق مع الديانة السائدة في بلاد بابل .

الملاحق

شكل رقم (1)

رمز الإله آشور

شكل رقم (2)

رمز الإله اهوارمزدا

المصادر :

آئينه وند : صادق ، ونصر الله : حسن

- دراسة مقارنة في أساطير الخصب سياوش وأودنيس نموذجاً ، مجلة العلوم الإنسانية ، العدد2، 2006 / 1427 هـ ش .

الأحمد : سامي سعيد

- المعتقدات الدينية ، بحث ضمن كتاب حضارة العراق ، ج1، (بغداد ، 1985م).

- الحضارة العراقية في الأديان والمعتقدات ، الأصالة والتأثير ، ضمن كتاب العراق في موكب الحضارة ،ج1، (بغداد، 1988م).

الأحمد : سامي سعيد ، ورضا جواد الهاشمي

- تاريخ الشرق الأدنى القديم ، إيران والأناضول ، (بغداد ، د.ت) .

الأسود : حكمت بشير

- أدب الرثاء في بلاد الرافدين ، دار الزمان(دمشق، 2008م).

أفستا : الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية ، إعداد خليل عبد الرحمن ، ط2، روافد للثقافة والفنون، (دمشق ،د.ت).

بيرينا : حسن

- تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني ، ترجمة : محمد نور الدين ومحمد السباعي ، مكتبة انجلو المصرية (القاهرة، د.ت) .

ابن البراج : القاضي

- المهذب ، (قم ، 1406هـ).

دالي : ستيفاني

- أساطير من بلاد ما بين النهرين ، ترجمة : نجوى نصر ، دار جامعة أكسفورد ، 1991م .

الدباغ : تقي

- الفكر الديني القديم ، دار الشؤون الثقافية العامة ،(بغداد، 1992م).

درسدن ، م.ج.

- أساطير إيران القديمة ، يحث ضمن كتاب ، أساطير العالم القديم ، ترجمة ، د. أحمد عبد الحميد يوسف ، مراجعة ، د. عبد المنعم أبو بكر ، الهيئة المصرية للكتاب ، 1974م .

الراوي : شيبان ثابت

- الطقوس الدينية في بلاد الرافدين حتى نهاية العصر البابلي الحديث ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب / جامعة بغداد ، 2001م.

سلمان : قتيبة أحمد

- عقائد الخصب في حضارتي بلاد الرافدين ووادي النيل دراسة مقارنة ، رسالة ماجستير ، كلية التربية / جامعة واسط ، 2010م.

السواح : فراس:

- لغز عشتار الالوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة ، دار علاء الدين (د.ت).

شابيرو ماكس ، هندريكس رودا

- معجم الأساطير ، ترجمة حنا عبود ، دار الكندي للنشر ، (بيروت د, ت).

صاحب : زهير (الدكتور)

- أغنية القَصب ، دراسة في الحضارة السومرية ، دار الجواهري ، (بغداد،2011م).

عبد الرحمن : خليل

- مقدمة ياشت 5 ، وياشت 10، في كتاب إفستا ، ط2، روافد للثقافة والفنون ، (دمشق ،د.ت).

عبد اللطيف : سجى مؤيد

- الحيوان في أدب العراق القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كُلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1997م .

علي : فاضل عبد الواحد (الدكتور)

- من الواح سومر إلى التوراة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد، 1989م) .

- عشتار ومأساة تموز ،منشورات وزارة الإعلام العراقية ، (بغداد، 1973م) .

الفردوسي : أبو القاسم

- الشاهنامة ، تحقيق الفتح بن علي البنداري ، ترجمة د. عبد الوهاب عزام ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1993م .

فريزر : جيمس ،

- أودنيس أو تموز دراسة في الأساطير والأديان الشرقية القديمة ، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا ، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،(بيروت، 1979م).

كرستنسن : أرثر

- إيران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب،دار النهضة العربية (بيروت، د.ت) .

لابات : رينه

- قاموس العلامات المسمارية ، ترجمة البير أبونا ، وآخرون ، منشورات المجمع العلمي ، (بغداد، 2004م).

الماجدي : خزعل

- متون سومر الكتاب الأول التاريخ . الميثيولوجيا. اللاهوت . الطقوس ، منشورات الأهلية (الأردن ، 1998م).

مظهر : سليمان

- قصة الديانات ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة ، 1995م).

ابن منظور : جمال الدين

- لسان العرب ، ط4،(بيروت ، 2005م).

مورتكات : انطون

- تموز عقيدة الخلود والتقمص في فن الشرق القديم ، ترجمة توفيق سليمان، (دمشق، 1985م).

ندا : طه (الدكتور)

- دراسات في الشاهنامة ، دار الطالب (الإسكندرية ، 1954م).

نرشخي :

تاريخ بخارى ، تصحيح مدرسي رضوي ، د.ت

النعيمي : راجحة خضر عباس

- الأعياد في حضارة بلاد الرافدين ، عفدات للدراسات والنشر ، (دمشق ، 2011م)

يوسفي : جمشيد (الدكتور)

- الزرادشتية الديانة والطقوس والتحولات اللاحقة بناءً على نصوص الأفستا ، (الوسام العربي ، الجزائر ، منشورات زين ، بيروت 2012م).

المصادر الفارسية :

بهار: مهرداد

- بزوهشى در أساطير إيران , موسسة انتشارات اكاه, ط 8, تهران, 1389 هـ ش.

- از أسطورة تا تاريخ نشر جشمه, ط 1, تهران, 1376هـ ش.

- جستارى جند در فرهنگ ايراني ، انتشارات فكر روز ، ط2، طهران ، 1374هـ ش .

- أديان آسيايى, نشر جشمه, ط 1, طهران, 1375هـ ش

بور: إسماعيل أبو القاسم

- ميتره (ايزدمهر) در اوستا مجله باستان شناسى وتاريخ سال نهم, شماره أول, بابيز وزمستان, آبان, 1374هـ ، ش.

خنجي : أمير حسين

- بيداش إيران ، كتاب من الشبكة المعلوماتية ، الموقع : www.irantarikn

زمانى, جواد محمد

- بررسى باورها ونمادهاى ايرانى در آيين هاى سوكوارى امام حسين (ع), رسالة ماجستير في الأديان غير الإبراهيمية مقدمة إلى كلية الأديان في جامعة الأديان والمذاهب, 1890هـ ، ش.

علي : حصوري

- سياوشان ، نشر چشمه ، طهران ، 1378هـ ، ش .

عفيفي : رحيم

- اساطير وفرهنك إيران در نوشته هاي بهلوي،انتشارات تونس، تهران،1374ه ، ش.

كرتيس : وستا سرخوش

- اسطورهى ملل اسطورهاى إيراني ، ترجمه للفارسية عباس مخبر ، نشر مركز ، 1373هـ ، ش .

نجاد : فرخ لطيف

- جمشيد در منشور أساطير، فصل نامة تخصيص ادبيات فارسي ، دانكشاه مشهد د.ت .

هينلز : جان

- شناخت اساطير ايران ، ترجمة : زالة آموزگار، أحمد تفضيلي ، نشر جشمه ، ط4، 1382هـ ش .

ياحقي : محمد جعفر

- فرهنگ اساطير واشارات داستاني ، مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنگي ، طهران ، 1369هـ ش .